السنة الحادية عشرة وثلاث مئة

فيها خُلِع على مُؤنس المُظَفَّر، وخرج في صفر من بغداد يريد الغزو، وخُلع على أبي الهَيجاء عبد الله بن حمدان، وقُلِّد فارس وكَرْمان، ثم عُدِل عنه إلى [إبراهيم بن][1] عبد الله المِسْمَعي.

وفي يوم الخميس لسبعٍ بقين من صفر ـ وقيل: ربيع الآخر ـ صُرِفَ حامد بنُ العباس عن الوزارة، وعلي بن عيسى عن الدواوين، فكانَت مدَّتُهما أربعَ سنين وعشرة أشهر وأربعة عشر يوماً، واستَوزر المقتدرُ أبا الحسن عليَّ بنَ محمد بن الفرات يومَ الخميس لسبعٍ بَقين من ربيع الآخر، وهذه الدفعة الثالثةُ من وزارته، وخلع عليه وعلى ابنه المُحَسِّن، وشُرِط على ابن الفرات أنْ لا يُنْكِب حامداً، وأنْ يُناظرَه على فَضْلِ الضَّمان بمَحْضرٍ من القضاة والشهود والكتَّاب، فإذا وَجَب عليه شيءٌ أخذ بعضَه، وسامحَه بالبعض، وقال المقتدر: هذا خَدمني مدةَ سنين، ولم يَصل إليه منِّي سوى رزق سنة واحدة، فلم يَطِب ذلك لابن الفرات، ولا هان عليه سلامةُ حامد وقد أمكنَتْه الفرصةُ منه.

وكان حامدٌ لمَّا وَلِيَ الوزارةَ أحضر ابنَ الفرات وأسمعَه ما يكره من الشَّتْم القبيح، فقال له ابن الفرات: أنت في دار المملكة، وعلى بساط أمير المؤمنين، فانظر ماذا تقول، فليس هذا بَيْدر تقسمه، ولا أنا عاملٌ تشتمُه وتلاطِمُه.

ثم التفَتَ إلى شَفيع اللؤلؤي وكان حاضراً فقال: عرِّف أميرَ المؤمنين أنَّ الحامل لحامد على الدخول في الوزارة ـ وليس مِن أهلها ـ أنِّي أوجبتُ عليه ألفَ ألف دينار[2] من فَضْل ضمانه لأعمال واسط، فدخل في الوزارة ظنًّا منه أن يَنجوَ من المطالبة، وقد كان الأولى لمَّا دخل في الوزارة أنْ يدعَ ضمانَ واسط؛ فَضْلاً عن أن يضمنَ السَّواد وغيرَه، فأما وزيرٌ وضامنٌ فهذا أوَّلُ خيانته.

---

(١) ما بين حاصرتين من تكملة تاريخ الطبري ١١/٢٢٨ .

(٢) في الكامل ٨/ ١١٢ : ألفي ألف دينار.

فلمَّا سمع حامد ذلك أمر أن يُؤخَذَ بلحيته، فما قام إليه أحدٌ، فقام حامدٌ بنفسه فأخذ بلحيته وأهانَه. وبلغ المقتدر، فبعَث خادماً، فأقام ابنَ الفرات من المجلس، وردَّه إلى مَحبسه، وبقي في قلبه.

فلمَّا عُزِل حامد وَوُلِّي ابنُ الفرات كان حامدٌ بواسط، فأودع أموالَه وذخائرَه عند الناس، وأظهرَ أنَّ الخليفةَ قد استدعاه، ثم هرب من واسِط إلى حيث يأمَنُ على نفسه، وبلغ ابنَ الفرات فأخبر المقتدرَ، فأمر نازوكَ صاحبَ الشُّرطة بالمَسير إليه، فخرج من بغداد، فلقي جماعةً من غلمان حامد وكُتَّابه بدَيْر العاقول، فقبض عليهم، وأخذ ما كان معهم من الأثقال. وأحسَّ حامد فحاد عن الطريق واستَتَر، ودخل نازوك بغداد بما أخذ، فأخذ المقتدرُ المال والدوابَّ، وردَّ الضَّالات إلى ابن الفرات.

وأما حامد فإنَّه لبس كساءً على زيِّ الرُّهبان، وقَصَد بابَ الخليفة مستجيراً به، وسأل أن يكون مُعتَقَلاً في دار السلطان إلى حين مناظرته على وجهٍ جميل، وشفَعَت فيه أمُّ الخليفة، فقال مُفْلح الخادم ـ وكان بينه وبين حامد عداوةٌ ـ: لئن فعلتُم هذا لم يتمَّ لابن الفرات أمرٌ وتَبطل الأموال، فبعث المقتدر بحامد إلى ابن الفرات، فأحسَنَ إليه، وأكرمه، وخاطبَه بالوزارة، وأفرد له داراً كبيرةً، ونقل إليها الفُرُش والأمتعةَ، وكان يحمل إليه من الطعام والشراب مثلَ ما كان يُحمَل إليه وهو وزير.

ثم إنَّ ابن الفرات خلا به ولاطَفَه، وقال له: قد علمتَ طَمعَ هذا الرَّجل ـ يعني المقتدر ـ وقد عزم على أنْ يُسلِّمك إلى ابني المحسِّن فيعذِّبك، وقد علمتَ جراءةَ المُحَسِّن، فأطلعني على أموالك وما أودعتَه فإنَّ إنكارك لا يفيد، فقال: احلِف لي أنَّني متى أقررتُ بذلك لا تنالُني بمكروه، ولا تُسلمني إلى ابنك، فحلف له، فأطلعه على أمواله وذخائرِه ودفائنه وودائعه، فبلغ ذلك ألفَ ألف دينار ومئتي ألف دينار، فرفع ابن الفرات ذلك إلى الخليفة، فقال: هذه الأموال بالنسبة إلى نعمة حامد يسيرةٌ، سلِّمه إلى ابنك المحسِّن، فقال: يا أمير المؤمنين، لا يحلُّ لي ذلك بدون اليمين، فكيف وقد حلفتُ له، وضمنتُ أنَّه لا ينالُه مكروهٌ، وما أبقى حامد[1] بقية، فبعث المقتدرُ فسلَّمه

---

(١) في (خ): خالد.

إلى المحسن، فعذَّبه بأنواع العذاب وأهانَه أقبح هَوان، فلم يقرَّ بدرهم، فقال المحسن لخادمه القاسمي: اذهب به إلى واسط فعذِّبه هناك، فخرج به، فمات في الطريق، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

ثم إنَّ ابن الفرات كاتب المقتدر في تسليم عليٍّ بن عيسى إليه، فلم يمكنه، فكتب المحسِّن إلى المقتدر يقول: سلِّمه إلي وما أوذيه، بل أستخرجُ منه المال، فبعث به إليه، فقيَّده، وألبسه جُبَّةَ صوفٍ، وأهانه كما فعل بحامد، فقال: والله ما أملكُ سوى ثلاثة آلاف دينار، وما أنا من أهل الخيانة.

وحضر نازوك يوماً والمُحسِّن قد أحضره وعليه الجُبَّة الصُّوف، فشرع يَشتمُه ويتهدَّده ويُهينه، فقام نازوك، فقال له المحسن: إلى أين؟ فقال: قد قبَّلْنا يدَ هذا الشيخ سنينَ كثيرة، فما يَطيبُ لي أنْ أراه على هذا الحال، ودخل على المُقتدر فأخبَرَه، فأنكر ذلك إنكاراً شديداً، وبعث ابنُ الفرات إلى ابنه المحسِّن فشتمه شتماً قبيحاً ونال منه، وبعث إلى علي بن عيسى بمالٍ، وحمله مكرَّماً إلى داره، ولم يؤخذ منه شيء، فسأَلَ الخروج إلى مكة، فأذن له المقتدر، فخرج إليها(١).

وفيها نكب ابنُ الفرات أبا علي بن مُقْلَة، وكان كاتباً بين يدَي حامد، وضيَّق عليه، وقيَّده، وطالبه بمالٍ كثير، فكتب ابنُ مُقْلَة إلى أبي عبد الله زنجي(٢) كاتب ابن الفرات يقول: [من الطويل]

تُرى حُرِّمَت كُتْبُ الأخلاء بينهم ... أبِنْ لي أمِ القرطاسُ أصبح غاليا
فما كان لو ساءلْتَنا كيف حالُكم ... وقد دَهَمَتْنا نَكبَةٌ هيَ ماهيا
صديقُك مَن راعاك عند شديدةٍ ... وكُلًّا تراه في الرَّخاء مُراعيا
فَهَبْكَ عدوِّي لا صديقي وربَّما ... رأيتَ الأعادي يَرحمون الأعاديا

فأُوقِفَ ابنُ الفرات عليها، فرقَّ له وخَفَّف مُصادرته.

---

(١) ينظر تكملة الطبري ١١/ ٢٢٩ وما بعد، والمنتظم ١٣/ ٢١٩ ، والكامل ٨/ ١٤٠-١٤١-١٤٢ . ومن بداية السنة إلى هنا ليس في (ف م ١).

(٢) في النسخ (خ ف م ١): أبي عبد الله بن نجا، والمثبت من الفرج بعد الشدة ١/ ٣٢٢ ، وانظر تاريخ بغداد ٢/ ٣٧٩ .

وفيها عمل ابن الفرات على إخراج مؤنس من بغداد، وكان مؤنس لمَّا وليَ ابنُ الفرات الوزارةَ غائباً في الثَّغْر، فقدم بغداد في رمضان، والتقاه المُحَسِّن والقوَّادُ والخاصُّ والعامُّ، واجتمع بالمُقتدر فرفع منه.

وكَثُرت الأراجيف بإنكار مؤنس ما جرى على حامد وابن عيسى والكُتَّاب، وأنَّ أكثر العساكر يريدون أنْ ينضمُّوا إلى عسكر مؤنس، فعزَّ على ابن الفرات، واجتمع بالمقتدر، وأغراه بمؤنس وقال: قد عَزم على التحكُّم على الخلافة، وأن يصير الأمر إليه، وجميع العساكر معه.

فلمَّا دخل مؤنس على المقتدر قال له: ما شيءٌ أحبَّ إليَّ من أنْ تقيمَ ببغداد لآنَسَ بك، ولكن قد قلَّت الأموال بالعراق، وعسكرُكَ يحتاجون إلى الأرزاق، ومالُ الشام والمغرب ومصر كثيرٌ، وأرى أن تقيمَ بالرقَّة، والأموال تُحمَل إليك من كلِّ جهة، ورسم له بالخروج من وقته بعسكره.

فعلم مؤنس أنَّه رأيُ ابن الفرات ـ وكان بينهما عداوةٌ شديدة ـ فسأل مؤنسٌ من المقتدر أنْ يُمْهِلَه إلى العيد بقيةَ شهر رمضان، فأجابه، وأقام إلى نصف شوال، فلمَّا أراد المسير دخل على ابن الفرات مودِّعاً له، فقام له قائماً، فاستعفاه فلم يُعْفِه، وكذا عند خروجه، وسأله في أشياء فأجابه، منها: تسليمُ الحسين بن أحمد ومحمد بن علي الماذرائيين، وكانا في مصادرة ابن الفرات، فسلمهما إليه، وقضى حوائجَه، وودَّع الخليفةَ وخرج في ذي القعدة إلى الرقَّة، واستوحش مؤنس(١).

وفيها شرع ابن الفرات في نَكبة نصر الحاجب، لمَّا فرغ من أمر مؤنس تجرَّد له ولشَفيع المُقْتَدريّ، وكثَّر عليهما عند المقتدر وخاصَّةً نصر، ووَصَف أموالهما وضياعَهما وذخائرهما، فأجابه إلى تسليم نصر دون شفيع، فعلم نصر فلجأ إلى السيدة، فعَنِيَت به وقالت للمقتدر: قد أبعد ابنُ الفرات مؤنساً عنك، وهو سيفك، ويريدُ أنْ ينكب حاجبَك ليتمكَّن منك، فيُجازيك على حسب ما عاملتَه به من إزالة نعمتِه وهَتْك حُرَمه، فليت شعري فبمَن تستعينُ على ابن الفرات والمُحَسِّن مع ما قد ظهر من

(١) تكملة تاريخ الطبري ١١/ ٢٤٠، والكامل ٨/ ١٤٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٠٦.

شرِّهما واستحلالهما الدماءَ أن يخلعاك؟ فوعدها بالكفِّ عن نصر.

وكان نصر قد استتر، فبعثَت إليه السيدة: ارجع إلى خدمتك، فرجع، وأقام ابن الفرات يُغري به المقتدر ويقول: ضيَّع عليك في أمر ابن أبي السَّاج خمسة آلاف ألف دينار، ولو كانت باقية لأرضيت بها الجُند، فكان المقتدر مرةً يَستحي من والدته وخدمةِ نصر، ومرةً تَشْرَه نفسُه للمال.

واتَّفق أنَّه وُجد في دار الخليفة رجلٌ أعجميٌّ، دخل مع الصنَّاع وخرجوا، وأقام أياماً، فأُخذ وضُرب، وقُرِّر فلم يُقرَّ شيئاً، ولم يزد: ندانم[١]، وصُلب وأُحرق.

وقيل: إنَّ ابن الفرات قال لنصر بحضرة المقتدر: ما أحسبُك ترضى لنفسك أن يجريَ في دارك ما جرى في دار أمير المؤمنين وأنت حاجبُه، وما تمَّ هذا على أحد من الخلفاء قديماً وحديثاً: أنَّ عدوًّا يدخل دورَهم، ولو أراد بأمير المؤمنين سوءاً لقدر عليه، وكثَّر على نصر، فقال له نصر: ليت شعري، كيف أُدبِّر أنا على أمير المؤمنين؟ لأنَّه أخذ أموالي وَهَتك حريمي، وقبض ضياعي، وحبسني عشر سنين[٢]! وجَرَت بينهما فصول، ويقال: إنَّ ابن الفرات فعل هذا ليتمكَّن من نصر، واندفع المكروه عن نصر[٣].

وفي شعبان أمر المقتدر برفع المَواريث، وردِّها إلى ما كانت عليه في زمان المُعْتَضد، وتوريث ذوي الأرحام، وأُظهِرَت نسخةٌ كتبها القاضي أبو خازم في أيام المعتضد يقول: قد اختلف الناس في توريث الأقارب، فرُوي عن زيد بن ثابت أنَّه جعل التركةَ إذا لم يكن للميت مَن يَرثُه من عَصَبة أو سهم لجماعة المسلمين ولبيت مالهم، وخالفَه عمرُ بن الخطاب، وعليٌّ، وابنُ مسعود، وابنُ عباس، وغيرُهم من الصحابة، ورَدَّ ما يَفضل من السُّهمان على أصحاب السِّهام من القرابة وذوي الأرحام،

---

(١) (ندانم) كلمة بالفارسية تعني: لا أعرف أو: لا أدري، وانظر تكملة الطبري ١١/ ٢٤٠-٢٤١، والكامل ٨/ ١٤٦.

(٢) في الكامل ٨/ ١٤٦: لم أقتل أمير المؤمنين وقد رفعني من الثرى إلى الثريا؟ إنما يسعى في قتله مَن صادره وأخذ أمواله وأطال حبسه هذه السنين وأخذ ضياعه. وانظر تكملة الطبري ١١/ ٢٤١.

(٣) من قوله: وفيها عمل ابن الفرات على إخراج مؤنس ... إلى هنا ليس في (ف م١).

والسنةُ تُعاضدهم في ذلك والكتاب؛ قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]، ولو كان هذا القول في المسألة لا يدلُّ عليه شاهدٌ من الكتاب والسنة لكان الواجبُ تقليدَ الأفضل والأكبر من السابقين الأولين، وتركَ قول مَن سواهم ممَّن لا يَلحَق بدرجتهم بسابقته وسِنِّه، وقد روى المقدامُ بن مَعدي كَرِب أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الخالُ وارثُ مَن لا وارثَ له، ويَخْلُفُه في عياله»، وروت عائشة وأبو هريرة عن النبيِّ ﷺ مثل ذلك[1]، وهو قولُ عامة التابعين ... وذكر كلاماً طويلاً[2].

وفيها دخل أبو طاهر سليمان بن الحسن الجَنَّابي القِرمطي إلى البصرة في ربيع الآخر لخمس بقين منه وقتَ السَّحَر في ألف وسبع مئة فارس، ونَصب السَّلالم، وصعدَ على الأسوار، ثم نزل البلدَ، وقتَلَ البوَّابين الذين كانوا على الأبواب، وفتح الأبواب، وطرح بين كلِّ مِصراعَين منها حصىً ورملاً كان معه على الجمال؛ لئلَّا يمكن غَلْق الأبواب، ووَضَع السيفَ في أهل البصرة، وأحرَقَ المِرْبَد والجامعَ ومسجدَ طلحة، وهرب الناس، وألقَوا نفوسَهم في الماء فغرِق معظمُهم، [وأقام القِرمطي بالبصرة سبعة عشر يوماً ينقل على جماله كلَّ ما قدر عليه من الأمتعة والنساء والصبيان] وخرج عنها [بما أخذه][3] يوم الخميس لاثنتَي عشرة ليلة من جمادى الأولى، وانصرف إلى بلده، واشتغل ابنُ الفرات بذلك عن نصر وغيرِه [، وحج بالناس إسحاق بن عبد الملك][4].

وفيها توفِّي

إبراهيم بن السَّري بن سَهْل

أبو إسحاق، الزَّجَّاج، الإمام الفاضل، مصنِّف كتاب «معاني القرآن» وغيره.

---

(١) أخرج حديث المقدام: أحمد (١٧١٧٥)، وأبو داود (٢٨٩٩) و(٢٩٠٠)، والدارقطني (٤١١٦).
وأخرج حديث عائشة: الترمذي (٢١٠٤)، والدارقطني (٤١١٢) و(٤١١٣).
وأخرج حديث أبي هريرة رضي الله عنه: الدارقطني (٤١٢١) و(٤١٢٢). وليس فيها: «ويخلفه في عياله».

(٢) من قوله: وأظهرت نسخة كتبها القاضي أبو خازم... إلى هنا ليس في (ف م١).

(٣) ما بين معكوفين من (ف م١).

(٤) في صلة تاريخ الطبري ١١/ ١٠٢ أن الذي حج الفضل بن عبد الملك.

قال: كنتُ أخْرِطُ[1] الزُّجَاج، فاشتهيتُ النحو، فلزمتُ المبرِّد لتعلُّمه، وكان لا يُعلِّم مجَّاناً، ولا يعلِّم بأُجرة إلا على قدرها، فقال لي: أيُّ شيءٍ صناعتُك؟ قلتُ: أخرُطُ الزُّجاج، وكسبي كلَّ يومٍ درهمٌ، وأشترطُ أنْ أعطيَك إيَّاه إلى أن يُفرِّقَ الموتُ بيننا إن استغنَيتُ عن التعليم أو احتجْتُ إليه.

ولزمتُه، وكنتُ أخدمُه في أموره، ومع ذلك فأُعطيه الدِّرهم، فينصحُني في العلم حتى استقلَلتُ، فجاءه كتابُ بعض بني مارية[2] من الصَّرَاة يلتمسون معلِّماً نحويًّا لأولادهم، فقلت له: أَسْمِني لهم، فسمَّاني، فخرجتُ فكنتُ أعلِّمهم، وأُنفذ إليه كلَّ شهر ثلاثينَ درهماً، وأتفقَّده بعد ذلك بما أقدرُ عليه، ومضت مدةٌ، فطلب منه عبيد الله ابن سليمان[3] الوزير مؤدِّباً لابنه القاسم، فقال: لا أعرف لك إلا رجلاً زجَّاجاً بالصَّراة مع بني مارية.

فكتب إليهم عبيد الله فاستَنْزَلهم عنِّي، فأحضرني، وسلَّم إليَّ القاسم ابنَه، فكنتُ أعطي المبرِّد كلَّ شهر ثلاثينَ درهماً إلى أن مات، وأتفقَّدُه مع ذلك بحسب طاقتي.

وقال الزجَّاج: كنتُ أؤدِّبُ القاسم بنَ عبيد الله فأقول له: إنْ بَلَّغك الله منازلَ أبيك، ووَلِيتَ الوزارةَ، ما تصنع بي؟ فيقول: مهما أحببتَ، فأقول: تُعطيني عشرين ألف دينار، وكانت غايةَ أُمنيّتي.

فما مضت إلا سِنون حتى وَلي القاسمُ الوزارة، وأنا على مُلازمتي له وقد صرتُ نَديمَه، فدعتْني نفسي إلى إذكاره بالوَعْد ثم هِبْتُه، فلمَّا كان اليوم الثالث من وزارته قال لي: يا أبا إسحاق، لم أرك أَذكرتَني بالنَّذر! قلتُ: عوَّلتُ على رعاية الوزير أيَّده الله، وأنَّه لا يحتاج إلى إذكارٍ في أمرِ خادمهِ واجبِ الحقِّ، فقال: إنه المعتضد، ولولاه ما

(١) في (خ): أخرج، وهذه الترجمة والثنتان بعدها ليست في (ف م١)، والمثبت من مصادر ترجمته، انظر: تكملة الطبري ١١/ ٢٣٦-٢٣٧، وتاريخ بغداد ٦/ ٦١٤، ومعجم الأدباء ١/ ١٣٠، والمنتظم ١٣/ ٢٢٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣٣، والسير ١٤/ ٣٦٠ وفي حواشيه مصادر أخرى.

(٢) في معجم الأدباء ١/ ١٣١: بني مارقة، وفي سائر المصادر: بني مارمة، بميمين، والمثبت موافق لنشوار المحاضرة ١/ ٢٧٥.

(٣) في (خ): أبو عبد الله بن سليمان، والمثبت من المصادر.

تعاظَمني ذلك أن أدفعَه من مالي، ولكن أخافُ أنْ يصيرَ لك معه حديث؛ فاسمح لي بأخذها متفرِّقةً، قلتُ: أفعل، فقال: اجلس للناس وخُذ رِقاعَهم في الحوائج الكبار، واستَجْعِلْ عليها، ولا تَمنع من مسألتي شيئاً صحيحاً كان أو مُحالاً، إلى أنْ يَحصُل لك غرضُك من مال النَّذْر.

فكنتُ أعرِضُ عليه كلَّ يوم رِقاعاً، فيُوقِّع فيها، وربما قال: كم ضُمِنَ لك على هذا؟ فأقول كذا وكذا، فيقول: غُبِنْتَ، هذا يُساوي كذا وكذا فاستزِدْ، فلا أزالُ أماكِسُهم ويَزيدونني حتى أبلغَ الرسمَ الذي رسمه، فحصل عندي أكثرُ من عشرين ألف دينار في مُدَيدة، فقال بعد شهور: يا أبا إسحاق، حصل مالُ النَّذْر؟ فقلتُ: لا، فسكَتَ.

ثم كان يَعرِض لي في كلِّ شهرٍ أو نحوه فأقول: لا؛ خوفاً من انقطاع الكَسْب، وقد حصل لي أضعافُ ذلك، فسألني يوماً، فاستَحْيَيتُ من الكذب المتَّصل فقلت: قد حصل ذلك ببركة الوزير، فقال: فَرَّجْتَ والله عنِّي، فقد كنتُ مشغولَ القلب إلى أن تحصَّل لك غَرضُك.

ثم وقَّع لي من ماله بثلاثة آلاف دينار صِلةً، فأخذتُها، وامتنعتُ أن أعرضَ عليه شيئاً، ولم أدْرِ كيف أصنعُ، ولا كيف أقعُ منه، فلمَّا كان من غدٍ حيَّيتُه وجلستُ، فقال: هات ما معك، فقلت: ما أخذتُ من أحدٍ رقعة لأنَّ الغَرَض قد حصل، فقال: سبحان الله، أتُراني كنتُ أقطعُ عنك شيئاً قد صار لك به عادة، وعلم الناسُ به، وصار لك عندهم جاهٌ ومنزلةٌ، وغُدوٌّ ورَواح إلى بابك، أفأقطعُ ذلك عنك فيظنُّوا أنَّ جاهَك قد ضعُف عندي، أو تغيَّرت رتبتُك؟! اعرض عليَّ رَسْمَك وخُذْ بغير حساب، فقبَّلْتُ يدَه وباكرتُه بالرِّقاع، فكنتُ أعرض عليه كلَّ يوم إلى أن مات.

قال المصنف رحمة الله عليه: وهذه الحالة هي التي أسقطَت حُرمةَ الزجَّاج من عين القاسم، حتى كان يُباسِطُه بالعَظائم.

وحكى الخطيب عن الزجَّاج أنَّه كان جالساً عند القاسم، فجاء خادمٌ فسارَّه بشيءٍ، فقام القاسم فدخل، ثم خرج وهو واجِمٌ، فقال له: ما الذي بالوزير؟ فقال: كانت تتردَّدُ إلينا جاريةٌ لبعض المُغَنِّيات فعشقتُها، وسألتُ مولاتَها بيعَها فأبت، ثم أُشير عليها تُهديها إليَّ رجاء أن أُضاعفَ لها ثمنَها، فأرسلَتْها الساعة، فجاء الخادم وسارَّني

بحديثها، فقمتُ فَرِحاً لأفتضَّها فوجدتُها حائضاً، فضاق صدري لهذا، فأخذ الزجَّاج الدَّواة وكتب: [من المديد]

فـارسٌ مـاضٍ بـحَـرْبـتـه حـاذِقٌ بـالـطَّـعْـنِ فـي الـظُّـلَـمِ
رامَ أن يُـدمـي فَـريـسَـتَـه فـاتَّـقَـتْـهُ مـن دَمٍ بـدمِ

واجتاز الزجَّاج يوماً ببغداد، وكان النَّيروز، فرشَّ عليه بعضُ الصبيان الماءَ، فنفضَه من ثيابه وقال: [من الطويل]

إذا قـلَّ مـاءُ الـوَجـهِ قـلَّ حـيـاؤُه ولا خـيـرَ فـي وجـهٍ إذا قـلَّ مـاؤُهُ

وجرى بينه وبين رجلٍ من أهل العلم شرٌّ، فشتَمَه الزجَّاج، فكتب إليه الرجلُ: [من الوافر]

أبـى الـزجَّـاجُ إلَّا شَـتْـمَ عِـرضـي لـيَـنْـفَـعَـه فـآثَـمَـهُ وضَـرَّهْ
وأُقـسِـمُ صـادقـاً مـا كـان حُـرٌّ لـيُـطـلِـقَ لـفـظـةً فـي شَـتْـم حُـرَّهْ
فـلـو أنِّـي كـرَرْتُ لـفـرَّ مـنِّـي ولـكـنْ لـلـمَـنـونِ عـلـيَّ كَـرَّهْ
فـأصـبـحَ قـد وقـاه الـلـه شَـرِّي لـيـومٍ لا وَقـاهُ الـلـه شـرَّهْ

وبلغَ الزجَّاجَ، فمشى إليه راجلاً واسترضاه، وسأله الصَّفْحَ فصفح عنه.

وتوفي الزجَّاج يوم الجمعة في جُمادى الآخرة ببغداد، وأخذ النحوَ عن المبرِّد وغيره، ولم تظهَر له روايةُ حديث.

أحمد بن حَمْدان

ابن علي بن سِنان، أبو جعفر، الحِيْريُّ، الزَّاهد، النَّيْسابوري(١).

كان من الأبدال، مُجابَ الدَّعوة، وصنَّف كتاب «الصحيح» على شرط مسلم، فعَازَه أحاديثَ ليتِمَّه، فسافر إلى البلاد بهذا السبب، وعاد إلى نيسابور فتوفِّي بها.

روى عنه ابناه محمد وأبو عمرو، وأبو عليّ الحافظ وغيرُهم، وحديثه بنيسابور، ولقي أبا حَفْص وغيرَه.

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١٨٥، وطبقات الصوفية ٣٣٢، والمنتظم ١٣/ ٢٢٣، والسير ١٤/ ٢٩٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣٩.

وحكى عنه الحاكم أنَّه قال: أنت تُبغِض[١] أهلَ المعاصي بذَنبٍ واحد تظنُّه، ولا تُبغضُ نفسَك مع ما تَتيَقَّنُهُ من ذنوبك.

أحمد بن محمد بن هارون

أبو بكر، الخَلَّال، صاحبُ الإمام أحمد رحمه الله[٢].

جمع من علومه مالم يجمعه أحدٌ، ودوَّنها، وسافر لأجلها، ولم يكن في أصحابه مَن اعتنى بها مثلُه، وكلُّ مَن تَمَذْهب للإمام أحمد رحمة الله عليه يأخذُ من كتبه.

وتوفي يوم الجمعة لليلتَين خلَتا من ربيع الأول، ودُفن قريباً من الإمام أحمد إلى جانب المَرُّوذي، وصلَّى عليه أبو عمر حمزة بن القاسم القاضي.

سمع الحسنَ بن عَرَفة وغيرَه، وروى عنه عبد العزيز بنُ جعفر وغيرُه، وكان لا يفرِّق بين قوله: حدثنا وأخبرنا وأنبأنا، فقيل له في ذلك فقال: قَولي في كتبي كلِّها: حدثنا.

[فصل:

أحمد بن عبد الله

ابن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان، أبو الطَّيِّب، البَغَويّ، ويُعرف بابن أبي القاسم[٣].

تُوفِّي في حياة أبيه، وحدَّث عن أبيه، وعن الحسن بن محمد بن الصَّبَّاح الزَّعْفَراني وغيره.

وأخرج له الخطيبُ حديثاً رواه عن أبي إشْكاب ـ واسمه محمد بن الحسين ـ بإسناده إلى ابن عباس: أنَّ رجلاً سأله عن عمل التَّصاوير وقال: إنِّي رجل أُصوِّرُها، فقال ابن عباس: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ يُعذِّبُ المُصَوِّرين»[٤]، فقال: إنَّ لي عيالاً، فقال: صَوِّر، ولا تُصَوِّر شيئاً فيه روح.

---

(١) في (خ): أذنب بعض، والمثبت من طبقات الصوفية والمنتظم.

(٢) تاريخ بغداد ٦/ ٣٠٠ ، والمنتظم ١٣/ ٢٢٠ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣٢ ، والسير ١٤/ ٢٩٧ .

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ٣٦٩ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣٠ ، وهذه الترجمة من (ف م١)، وليست في (خ).

(٤) أخرجه بنحوه أحمد (١٨٦٦) و(٢١٦٢)، والبخاري (٢٢٢٥) و(٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠).

وفيها توفي]

حامد بن العباس الوزير

كان يَنظر قديماً بفارس، ثم انتقل إلى النَّظَر بواسط والبصرة والأهواز، وكان موسراً، له أربعُ مئة مملوك يحملون السلاحَ، ولكلِّ مملوك مماليك، وكان يخدمُه ألف وسبع مئة حاجب، واستوزَرَه المقتدر سنةَ ستٍّ وثلاث مئة، وقد ذكرناه.

وكان ظاهر المروءة، جواداً، سَمْحاً، كثيرَ العطاء، [فحكى الصُّولي أنه] شكا إليه شفيع المُقتدري فَناءَ شعيره، فكتب له بمئة كُرٍّ، وكذا لنصر الحاجب، ولابن الحَواري، ولأمِّ المقتدر[1]، ولمؤنس الخادم.

وحكى القاضي التنوخي عن بعضِ الكتَّاب[2]: حضرتُ مائدةَ حامد، وكنتُ أسمع أنَّه يُنفقُ عليها في كلِّ يوم مئتي دينار، فحضرت بين يدَيْ حامد مائدةٌ عليها ألوانُ الأطعمة، فاستَقْلَلْتُها بالنسبة إلى ما كان يُقال عنه، ثم خرجتُ من عنده وإذا في الدار نيِّفٌ وثلاثون مائدةً منصوبةً، على كلِّ مائدةٍ عشرون نفساً، وفي مجالس أخرى عليها ثلاثون نفساً، فرأيت ما هالني[3].

وذكر القاضي التَّنوخي: أنَّ حامداً رأى في دِهليزه يوماً قِشرَ باقِلاء، فأحضر وكيله وقال: ويلك يُؤكَلُ في داري الباقلاء؟ فسأل وإذا به من فِعْل بعضِ البوَّابين، فقال لهم: ما هذا؟ قالوا: نبعثُ بجِراياتِنا من اللَّحم إلى عيالنا، ولا يطيبُ لنا أنْ نأكلَها دونَهم، فنحن نأكلُ الباقلاء. فقال: أجروا لعيالهم اللحم، وأطعموا البوَّابين من الموائد.

[وقال التنوخي:] رفعَت له امرأةٌ رُقْعةً تذكر فيها فَقْرَها، فوقَّع عليها بمئتَي دينار، فأنكرها الجِهْبِذ، وعرَّفه فقال: والله ما كان في نفسي إلا أنْ أُطلقَ لها مئتَي درهم، ولكنَّ الله أجرى لها، فأعطِها فإنِّي لا أرجع عن ذلك، فلمَّا كان بعد أيام وقف له رجلٌ بقصَّة وقال: أيها الوزير، إنَّك أطلقْتَ لزوجتي مئتي دينار، وقد استطالتْ عليَّ وطلبَت

(١) كذا في النسخ، وفي المنتظم ١٣/ ٢٢٩، وصلة تاريخ الطبري ٧٣: وكتب لأم موسى، وانظر ما لم ينشر من أوراق الصولي ١٢٥.

(٢) في (خ): وقال بعض الكتاب، والمثبت من (ف م١).

(٣) المنتظم ١٣/ ٢٢٩.

الطلاق، فضحك حامدٌ، وأطلَقَ له مئتي دينار، وقال: قد صار لك الآن مثلَ ما لها، فهي لا تُطالبُك بالطلاق[1].

[وقال المُحَسِّن:] كان إذا سافر ومعه حُرَمُه نزلوا في حَرَّاقة، والملّاحون الذين فيها خِصيان ليس فيهم فحل.

[وحكى المحسن أيضاً أنَّ حامداً] خرج يوماً إلى بستانه، فرأى في طريقه داراً مُحترقةً، وشيخاً قائماً يبكي، وحولَه صبيانٌ ونساءٌ يُوَلْولون، فسأل عنهم فقيل له: هذا رجلٌ تاجرٌ احترَقَت دارُه وافتقر، فوَجَم ساعةً، ودعا وكيلَه وقال: [أريد أنْ أندُبَك لأمر، إنْ فعلتَه كما في نفسي أحسنتُ إليك وفعلتُ معك كذا، وإنْ تجاوزتَ فيه رَسْمي فعلتُ بك وصنعتُ، فقال: مُرْ بأمرك، فقال:] قد اجْتَزْتُ بهذه الدار، وقد ضاق صدري على الشيخ، وآلمني قلبي، وتنغَّصَت عليَّ نُزهتي بسببه، وما تسمحُ نفسي بالتوجُّه إلى بستاني إلا بعد أنْ تضمَن لي أنّي إذا عدتُ [العشيةَ] من البستان أن أجدَ الشيخ في داره، وهي كما كانت مبنيَّةً نظيفةً، وفيها صنوف المتاع والفُرُش مثل ما كانت وأكثر، وتحضر إليها كسوةُ الشتاء والصيف للشيخ ولعياله، فقال: تقدَّم إلى الخازن[2] بأنْ يُطلِق ما أُريده، وإلى صاحب المَعونة أنْ يقفَ معي، ويُحضرَ ما أطلبه من الصُّنَّاع والآلات.

فأمر بذلك ـ وكان الزَّمان صيفاً ـ فأحضر الصُّنَّاع والفَعَلة، وشرعوا، وأقاموا الدار كما كانت، وسُقِفَت وبيِّضَت، وبقيت الطوابيقُ، فكتب الوكيلُ إلى حامد يسأله أنْ يلبَثَ في البستان إلى العِشاء الآخرة، فأقام، وكتَبَ الوكيلُ جميع ما ذهب للشيخ حتى المِقْدَحَة والمِكْنَسَة، وأُحضِرَت الصَّناديق، وامتلأت الخزائنُ بالأمتعة، وكمُلَت الدارُ، واجتاز حامد بها وقد اجتمع الناس كأنَّه يومُ عيد، والناس يَضِجُّون بالدعاء له، وحمل حامد إلى الشيخ خمسةَ آلاف درهم يزيدُها في بضاعته، ثم سار حامدٌ إلى داره.

(١) الخبران في نشوار المحاضرة ١/ ٢٢، ٤١، وعنه في المنتظم ١٣/ ٢٢٩-٢٣٠، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣٥، والسير ١٤/ ٣٥٧.

(٢) في (ف م ١): تأمر الخازن، وما سلف بين معكوفين منهما، وانظر المنتظم ١٣/ ٢٣١، وصلة تاريخ الطبري ٢٣٥-٢٣٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣٧.

قد ذكرنا أنَّ المقتدر لمَّا نُكِبَ حامدُ أمر ابنَ الفرات أنْ [لا يُعارضَه ولا] يناظره [إلَّا] بمحضرٍ من القُضاة والكتَّاب، [وحضور] مُفْلح الخادم وكان بينهما عداوةٌ، فأغلظ له مفلح، فقال حامد: والله لأبتاعنَّ مئة أسودَ مثلِك وأجعلهم قوَّاداً، وأسمِّي كلَّ واحدٍ مفلحاً، فنقل مفلح إلى الخليفة عن حامد ما لم يَقُلْه، فسلَّمه إلى المُحَسِّن بن الفرات، فعذَّبه، ثم بعَث به إلى واسط مع خادمه القاسميِّ(١) ليعذِّبَه هناك، وكان في رمضان، وأخذ حامدٌ بيضاً يتحسَّاه نِيْم رُسْته(٢) في الطريق، فتحيَّل الخادمُ حتى سمَّه في بعضه، فلَحِقَه ذَرَبٌ عظيمٌ، ودخل واسطاً وهو مُثْقَل، فسلَّمه إلى محمد بن علي البَزَوْفَري، وكان ينظُر في واسط من قبل حامد.

وأسرع الخادمُ إلى بغداد، فأراد البَزَوْفَري أن يحتاط لنفسه، فأحضر قاضيَ واسط وشهودها ليَشهدوا عليه أنَّه مات حَتْف أنفه، وأنَّه لا صُنْعَ للبزوفري فيه، وكتبوا كتاباً وقالوا: نشهدُ عليك، فقال حامد: اشهدوا أنَّ ابنَ الفرات الكافرَ الفاجرَ الرافضيَّ الزنديق عاهدني إن أقرَرتُ بأموالي لا ينالُني بمكروه، فأقررتُ له بها، فسلَّمني إلى ابنه الفاجر، فعذَّبني بأنواع العذاب، وأخرجني إلى هذا البلد مع خادم القاسم بن عبيد الله، وكان [هذا الخادم] يتولَّى قتلَ النفوس للقاسم، فغافلني وسقاني سُمًّا في بيضٍ فقتلني، ولا ذَنْب للبزوفري في دمي إلى وقتنا هذا، ولكنَّه كفر إحساني إليه، فاشهدوا عليَّ بما قلتُ.

وكتَبَ صاحبُ البريد إلى المقتدر بذلك، ومات حامدٌ لثلاث عشرة ليلة خَلَت من رمضان، فكان بين وفاته ومقتل الحَلّاج تسعة أشهر وعشرة(٣) أيام.

وقيل: إنَّ الذي سمَّه في البيض المُحَسِّن، وخرج من بغداد مَسْموماً(٤).

---

(١) في (م١) و(ف): مع خادم له يقال له القاسمي.

(٢) نيم رسته: كلمة فارسية تعني: نصف ناضج (نيم: نصف، رسته: نام)، ينظر المعجم الذهبي ص٢٣٦ و٥٨٢.

(٣) في (م١) و(ف): وسبعة.

(٤) صلة الطبري ١١/ ٢٣٥، والمنتظم ١٣/ ٢٣٢، والكامل ٨/ ١٤٠.

محمد بن إسحاق

ابن خُزَيمة بن المُغيرَة، أبو بكر، الحافظ، السُّلَميُّ، النيسابوريُّ، مولى مُجَشِّر بن مُزاحم.

طاف الدنيا في طلب الحديث، وصار مُبرِّزاً فيه، وتوفي بنيسابور ليلةَ السبت ثامن ذي القعدة، ودفن بداره، ثم صارت مَقْبُرَة.

سمع إسحاق بن راهويه، وأحمد بن مَنيع، وبشر بن معاذ وغيرهم.

وروى عنه جماعةٌ من مشايخه، منهم: البخاريُّ، ومسلم، وغيرهما، وأجمعوا على صدقه وأمانته وفضله(١).

أبو محمد الزَّاهد

الجُريري، بضمِّ الجيم(٢). واسمه: أحمد بن محمد بن الحسين، وقيل: الحسن بن محمد، وقيل: عبد الله بن يحيى، والغالبُ أنَّ اسمه كنيتُه.

وهو أحدُ المشايخ الصوفية(٣)، ولمَّا مات الجنيدُ أقعدوه مكانه لحُسْن طريقته، وفضله، وقدمه.

[وفي رواية:] قيل للجنيد: مَن نُقعِدُ بعدك؟ فقال: الجريري [، وصحب سهل بن عبد الله أيضاً.

ذكر طرف من أخباره:

روى عنه أبو عبد الرحمن أنه قال:] ما مَدَدتُ(٤) رجلي منذ عشرين سنة عند جلوسي

---

(١) المنتظم ١٣/ ٢٣٣، والسير ١٤/ ٣٦٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٤٣. وهذه الترجمة ليست في (ف م١).

(٢) ضبطه الذهبي في المشتبه ١٥٠ بفتح الجيم على أنه من أولاد جَرير بن عبد الله البجلي، قال ابن ناصر الدين في توضيحه ٢/ ٢٨١: وضبطه أبو القاسم القشيري بفتح الجيم كما تقدم، وقد قيده بعض المؤرخين بضم الجيم.

(٣) في (ف م١): وفيها توفي أبو محمد الجريري، واختلفوا في اسمه على أقوال أحدها ... والثاني ... والثالث: عبد الله بن يحيى... وهو أحد مشايخ القوم. والمثبت من (خ).
وانظر ترجمته في: طبقات الصوفية ٣٥٩، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٤٧، وتاريخ بغداد ٦/ ١١٦، والرسالة القشيرية ١٠٠، والمنتظم ١٣/ ٢٢١، ومناقب الأبرار ١/ ٤٤٣، والسير ١٤/ ٤٦٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٣١.

(٤) ما بين معكوفين من (ف م١)، بدله في (خ): قال الجريري: ما مددت.

في الخَلْوة، فإنَّ استعمال الأدب مع الله أولى.

وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: أقام الجريريُّ بمكةَ في سنة اثنتين وتسعين ومئتين سنةً لم يأكل ولم يَشرب ولم يَنَم، ولم يستند إلى شيء، ولم يمدَّ رجليه، وكان مُقامه في المسجد الحرام، فقيل له: بم قَدَرْتَ[1] على هذا؟ فقال: علم الله صِدْق باطني فأعانني على ظاهري.

[وحكى عنه في «المناقب» أنَّه] قال: حَججْتُ وقَدِمتُ منزلي، فأتيتُ الجنيدَ لئلَّا يتعنَّى [لزيارتي]، فسلَّمتُ عليه ثم انصرفتُ، فلمَّا كان في اليوم التالي صلَّيتُ الفجر في المسجد، فلمَّا سلمتُ إذا بالجنيد خلفي، فقلتُ: يا أبا القاسم، إنَّما بدأتُ بك أمس لئلَّا تتعنَّى، فقال: ذاك فضلُك وهذا حقُّك.

[وحكى عنه أيضاً أنه] قال: كنتُ في مسجد مدينة النبي ﷺ، فانكسَفَ القمرُ ليلةَ جمعة، فنظرتُ فإذا به أسودُ، مكتوبٌ في وسطه بالنور: أنا الله وحدي، فغُشِيَ عليَّ حتى أصبحتُ.

وقال لأصحابه: هل فيكم مَن إذا أراد اللهُ أنْ يُحدِثَ حدثاً في المملكة أبدى علمه إليه قبل إبدائه إلى الكون؟ قالوا: لا، قال: فمُرُّوا وابكوا على قلوبٍ لم تَجِد من الله شيئاً من هذا.

وقال: مَن رَضِيَ بدون قَدْره رفَعَه الله فوق غايته.

وقال: عَبيدُ النِّعم كثيرٌ، وعبيدُ المنعم يَعِزُّ وجودُهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّنِيِّـۧنَ﴾[آل عمران: ٧٩] قال: سامعين من الله، قائلين بالله.

وقال: إنَّ الذي يقرأُ القرآن لينالَ بقراءته جزاءً، ثم أُعطي الجنة فقد رضي بالقليل؛ لأنَّ الجنة مَخلوقةٌ والقرآن قديمٌ.

وقال: مَن تحلَّى بشاهد الحقِّ عُصِمَ، ومَن تحلَّى بشاهد نفسه قُصِمَ.

---

(١) في (ف م١): وفي رواية فقيل له كيف قدرت. والمثبت من (خ).

وقال: قال لي الجُنيد: يا أبا محمد، ما معنى قوله عليه السلام: «أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ ولا فَخْر»؟(١) قلتُ: معناه: أنَّني لا أفتخرُ بالعطاء، بل أفتخر بالمعطي، فقال: أحسنتَ.

وسئل الجريري عن قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾[مريم: ٢٣] فقال: الخواصُّ لهم إشْراف على ما يَتَجَدَّد من الحوادث، فلمَّا ولدت مريمُ عيسى أشرفَت على ما سيكون، فغمَّها أنْ يكونَ منها ما يُنسَب إلى الربوبية، فقالت: يا ليتني متُّ قبل أنْ أحملَ بمَن يتَّخذُه الناس إلهاً، فأنطق الله عيسى فقال: إنِّي عبد الله آتاني الكتاب، والعبدُ لا يكونُ إلهاً.

ومما أنشد الجريري: [من الكامل]

قِفْ بالدِّيار فهذه آثارهم ... تبكي الأحبَّةَ حَسْرةً وتَشَوُّقا
كم قد وقفتُ بها أسائلُ مُخبِراً ... عن أهلها أو صادقاً أو مُشْفِقا
فأجابني داعي الهوى في رَسْمها ... فارقْتَ مَن تَهوَى فعَزَّ المُلتقى

وأنشد أيضاً: [من الطويل]

شكرتُكَ لا أنِّي أُجازيك مُنْعِماً ... بشُكري ولكن كيْ يقالَ له شُكْرُ
فأذكرُ أيَّامي لدَيك وحُسْنَها ... وآخرُ ما يبقى على الذَّاكرِ الذِّكْرُ

ذكر وفاته(٢):

حكى الخطيبُ، عن السُّلَمي، عن أبي سعيد الرَّازي قال: تُوفِّي الجريري في سنة وقعة الهَبِيْر، وكانت في سنة إحدى عشرة وثلاث مئة.

قلتُ: وقد اختلفوا في وقعة الهبير على قولَين: أحدهما: أنَّ القِرمطي عارضهم في سنة إحدى عشرة وثلاث مئة، والثاني: في سنة اثنتي عشرة.

وحكى الخطيب عن أحمد بن عطاء الرُّوذَباري أنَّه قال: مات الجريري سنة الهَبِير، فاجتَزْتُ به بعد سنة، وهو مستندٌ جالسٌ ورُكبتُهُ إلى صدره، وهو يشير إلى الله تعالى بأُصبعه(٣).

---

(١) أخرجه أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٢٥٤٦).

(٢) جاءت وفاة الجريري في (خ) مختصرة، فأثبت سياق (ف م١) لوضوحه وتمامه.

(٣) بعدها في (ف): والحمد لله وحده، وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.